

**خلاصة القواعد الحسان**

**في أسرار الطاعة والاستعداد لرمضان**

**جمع:**

**رضا بن أحمد صمدي**

**تلخيص:**

**عبد الله بن نجاح آل طاجن**

## القاعدة الأولى: (بعث واستشارة الشوق إلى الله)

على مر الأيام والليالي يَخْلُقُ الإيمان في القلب وتصدأ أركان المحبة، وعندئذ تحتاج إلى من يَهْبِكُ سربالاً إيمانياً جديداً تستقبل به شهر رمضان.

وأصل القدرة على فعل الشيء: (مؤونة العبد) و(معوونة الله)، ونعني بالمؤونة: الرغبة والإرادة، (على قدر المؤونة؛ تأتي المعونة)، وفي الحديث القدسي: (إذا تقرب العبد إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة)، فالبداءة من العبد ثم الإجابة حثماً من الرب: (ادعوني أستجب لكم)، (فاذكروني أذكركم).

فلا بد من إثارة كوامن شوقك إلى الله؛ حتى تلين لك الطاعات، فتؤديها ذائقاً حلاوتها ولذتها، وأيةً لذة يمكن أن تحصلها من قيام الليل ومكابدة السهر وظمِّ الهواجر وألم الجوع إذا لم يكن كل ذلك مَبِينًا على معنى (وعجلت إليك رب لترضى)؟! ومن أجاب نداء الله دون شوق يحدوه.. صعبت عليه الطاعة وشقت، ومن دعاء النبي (صلى الله عليه وسلم): (وأسألك الرضا بالقضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك).

وشوقك لربك غلبه رَيْنُ الشبهات والشهوات وأفناه مرور الأزمنة والأوقات دون كَدْحٍ إلى الله، فعليك أن تبعث هذا الشوق -إن كان (مَيْتًا) - أو تستثيره -إن كان (كَامِنًا) -.

## عوامل بعث الشوق إلى الله:

(١) (مطالعة) أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، و(تدبُّر) كلامه، و(فَهْمٌ) خطابه، فإن من شأن هذه (المطالعة) و(التدبر) و(الفهم) أن تحيي القلب وتنبهه؛ فتتحرك كوامن المعرفة في القلب والعقل؛ ويأتي عندئذ المدد.

وتأمل قصة أبي الدحداح: فبمجرد سماعه آية الإقراض فهم المراد واستجاب فوراً دون انتظار؛ فعن عبد الله بن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية: (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له)؛ قال أبو الدحداح الأنصاري: وإن الله يريد منا القرض؟ قال: (نعم يا أبا الدحداح)، قال: أرني يدك يا رسول الله، قال فناوله رسول الله يده، قال: فإني أقرضت ربي حائطي، قال: حائطه له ست مئة نخلة، وأم الدحداح فيه وعيالها، قال: فجاء أبو الدحداح فنادى: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: اخرجي من الحائط؛ فإني أقرضته ربي -عز وجل-، فعمدت إلى صبيانها تُخْرِجُ ما في

أفواههم وتنفض ما في أكمامهم، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): (كم من عِدْقٍ رَدَّاحٍ في الجنة لأبي الدحداح)، [العِدْقُ من النخل كالعنقود من العنب، والرَّدَّاح: الثقل لكثرة ما فيه من التمر].  
(٢) مطالعة منن الله العظيمة وآلائه الجسيمة، فالقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، ولذلك كثر في القرآن سَوَقُ آيات النعم والفضل؛ تنبيها لهذا المعنى، وكلما ازدادت علما بنعم الله عليك.. ازدادت شوقا لشكره على نعمائه.

(٣) التحسُّرُ على فوت الأزمنة في غير طاعة الله، قال ابن القيم: (وهذا اللحظ يؤدي به إلى مطالعة الجناية، والوقوف على الخطر فيها، والتشمير لتداركها، والتخلص من رقتها، وطلب النجاة بتمحيصها).

(٤) تَدَكُّرُ سبق السابقين مع تخلفك مع القاعدين، وهذا يورثك تشوُّقًا للمسارعة والمسابقة والمنافسة، وكل ذلك أمر الله به، قال تعالى: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم)، وقال: (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة)، وقال: (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون).

واعلم أن بعث الشوق وظيفة لا ينفك عنها السائر إلى الله، ولكن ينبغي مضاعفة هذا الشوق قبل شهر رمضان لِتُضَاعَفَ الجهد فيه، وهذا الشوق نوع من أنواع الوقود الإيماني الذي يُحَفِّزُ على الطاعة، ومجالات الشوق عندك كثيرة؛ من أعظمها: الشوق إلى (رؤية وجه الله) و(لقاءه) و(جنته) و(رحمته) و(رؤية أوليائه).

واعلم أن لهذا الشوق لصوصا وقُطَاعًا يتعرضون لك، فاحذر (الترفه) و(فتنة الأموال والأولاد والأزواج)، واجعل شعارك في شهر رمضان: (وعجلت إليك رب لترضى).

## القاعدة الثانية: (معرفة فضل المواسم، ومنة الله فيها، وفرصة العبد منها)

قال ابن رجب -في لطائف المعارف-: (وجعل الله سبحانه وتعالى لبعض الشهور فضلا على بعض، كما قال تعالى: (منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم)، وقال تعالى: (الحج أشهر معلومات)، وقال تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن)، كما جعل بعض الأيام والليالي أفضل من بعض، وجعل ليلة القدر خيرا من ألف شهر، وأقسم بالعشر -وهي: عشر ذي الحجة على الصحيح-، وما في هذه المواسم الفاضلة موسم إلا ولله -تعالى- فيه وظيفة من وظائف طاعته، يُتَقَرَّبُ بها إليه، ولله فيه لطيفة من لطائف نفعاته يصيب بها من يعود بفضله ورحمته عليه، فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات، وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات، فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفعات، فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات).

وفي الحديث: (إن لله في أيام الدهر نفعات، فتعرضوا لها، فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدا).

واعلم أن معرفة فضل المواسم يكون بمطالعة ما ورد فيها من فضل، وما يحصل للعبد من الجزاء إذا اجتهد، ويمكنك مطالعة هذه النصوص والآثار في الكتب المعنية بالفضائل؛ ك(رياض الصالحين للنووي)، و(الترغيب والترهيب للمنذري)، و(لطائف المعارف لابن رجب).

## القاعدة الثالثة: (تمارين العزيمة والهمة)

العزيمة - عند أهل السلوك - هي: (استجماع قوى الإرادة على الفعل)، وكأن صاحب العزيمة لا رخصة له في التخلف عن القيام بالمهمة، بل هو مطالب باستجماع قوته وشحذها حتى يطبق الأداء. وغالب من تكلم في هذا الباب لم يشر إلى أهمية تحفيز الهمة لتقوى على المجاهدة في الأزمنة الفاضلة مع أن الشرع أشار إلى ذلك بـ:

(١) استحباب صوم شعبان لتتأهب النفس وتقوى على صيام رمضان بسهولة.

(٢) وكان من هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) في قيام الليل أن يبدأ بركعتين خفيفتين؛ حتى تترَيضَ نفسه ولا تضجر.

(٣) وأشار الشاطبي في الموافقات إلى (أن السنن والنوافل بمثابة التوطئة وإعداد النفس للدخول في الفريضة على الوجه الأكمل).

وكثير من الناس يعقد الآمال بفعل جملة من الطاعات في شهر رمضان، فإذا أتى الشهر.. أصبح خبيث النفس كسلان، وذلك لأنه لم يحل عقدة العادة والكسل والعود، والعزيمة لا تكون إلا فيما لا تألفه النفوس أو لا تحبه، فتحتاج النفس إلى المجاهدة في (معرفة) فضل ذلك العمل المكروه إليها، ثم في (مجاهدة) واردات العجز والكسل.

وتمارين العزيمة من صميم القيام بحق شهر رمضان وتحصيل المغفرة فيه لأنه لا قوة للنفس ما لم تُعدَّ العُدَّة للطاعة، قال تعالى: (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين).

وَيُمْنِيْ بَعْضَ الْخَيَالِيْنَ نَفْسَهُ بِأَمَانِي الْعَزِيْمَةِ الَّتِي لَا تَعْدُو أَنْ تَكُوْنَ سَرَابًا يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا، فنراه يحلم أحلاما وردية بأن يجتهد في هذا الشهر اجتهادا عظيما، وتراه يرسم لنفسه صور الجلال وأُبُهَّةَ الولاية، فإذا ما هجم الشهر.. قال المسكين: اليوم خمر، وغدا أمر. ولو أن هؤلاء كانت لهم قبل شهر رمضان جولات في ميادين الاجتهاد في الطاعة لأنسوا من نفوسهم خيرا، لكنهم طمعوا في نوال القُرب ولما يستكملوا زاد المسير؛ كمثل: من ذهب إلى السوق بلا مال، فلا يجهد إذن نفسه في المساومة.

ولما قال أنس بن النضر لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعد غزوة بدر: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين، والله، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع،

ثم رووا لنا أنهم وجدوه في أُحُدٍ صريعا، به بضع وستون ما بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم.. علمنا ما أضمر الرجل.

ولما قال ذلك الصحابي: يا رسول الله، ما بايعتك إلا على سهم يدخل ههنا فأدخل الجنة، قال له الرسول (صلى الله عليه وسلم): (إن تصدق الله يصدقك)، ثم رووا أن السهم دخل من موضع إشارته.. علمنا ما عزم عليه الرجل.

## القاعدة الرابعة: (نبذ البطالة والبطالين ومصاحبة ذوي الهمم)

لا يضر السائر إلى الله مثل البطالة وصحبة البَطَّالين؛ فد(الصاحب صاحب).

ولما أراد قاتل المئة أن يتوب حقا.. قيل له: اترك أرضك؛ فإنها أرض سوء، واذهب إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، فلا بد لمن أراد تحصيل المغفرة من شهر رمضان أن يترك المُخْلِدين إلى الأرض ويزامل ذوي الهمم العالية، كما قال الجنيد: (سيروا مع الهمم العالية).

وقد أمر الله خير الخلق (صلى الله عليه وسلم) بصحبة المُجِدِّين في السير إلى الله وترك الغافلين، فقال: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)، وقال: (واتبع سبيل من أناب إلي)، وقال: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين).

فلو صحب الإنسان من يظنون أن قيام الساعة من الليل إنجاز باهر فهو مغبون لن يَعدُو قدره، بل سيظل راضيا عن نفسه مأنأ على ربه بتلك الدقائق التي أجهد نفسه فيها، ولكنه لو رأى الأوتاد من حوله تقف الساعات الطَّوَال في تهجد وتبتل وبكاء وقلوبهم وجِلَّة فأقل أحواله أن يظل حسيرا كسيرا على تقصيره. و(نبذ البطالة عادة الناسك في كل زمان).

ترى البطالين يصلون التراويح سويعة، ثم يسهرون ويسمرون ويسمدون، وتضيع عليهم صلاة الفجر؛ (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا).

## القاعدة الخامسة: (إعداد قائمة بذنوبك التي تريد التخلص منها)

قال (صلى الله عليه وسلم): (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا).

ووجه كون شهر رمضان فرصة سانحة لـ(علاج الآفات والمعاصي والعادات):

- ١- أنه شهر حَمِيَّةٍ -أي: امتناع عن الشهوات-، والشهوات مادة النشوز والعصيان.
  - ٢- أن الشياطين تُصَفِّدُ فيه -وهم أصل كل بلاء يصيب ابن آدم-.
  - ٣- جَمَاعِيَّةُ الطاعة، حيث لا يبصر الصائم في الغالب إلا أُمَّةً تصوم وتتسابق إلى الخيرات فتضعف همته في المعصية وتقوى في الطاعة.
- فهذه عناصرُ ثلاثة مهمة تتضافر مع (عزيمة النفس الصادقة) للإصلاح؛ فيتولَّد طَقْسٌ صحي وظروف مناسبة لاستئصال أي داء.

وقبل كل ذلك وبعده لا يجوز أن ننسى ونغفل عن ديوان العتقاء والتائبين والمقبولين الذي يفتحه الرب -جل وعلا- في هذا الشهر، وبنظرة عابرة إلى جمهور المتدينين تجد بداياتهم كانت بعبرات هائلة في سكون ليلة ذات نفحات من ليالي رمضان.

وما لم تتَحَفَّزْ الهمم لعلاج الآفات في هذا الشهر.. لن تبقى فرصة لأولئك السالكين أن يبرءوا، فمن حرم بركة رمضان ولم يبرأ من عيوب نفسه فيه.. فأني زمان آخر يستظل ببركته؟! وفي الحديث: أن جبريل قال: (من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين).



## القاعدة السادسة: (الإعداد للطاعة، ومحاسبة النفس عليها)

واعلم أن الاستعداد للطاعة ومحاسبة النفس عليها وظيفتان متباينتان، لكنهما متداخلتان.

[١] أما الإعداد للعمل فهو علامة التوفيق وأمانة الصدق في القصد، قال تعالى: (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة)، والطاعة لا بد أن يُمهَّد لها بوظائف شرعية كثيرة حتى تؤتي أكلها ويُجتنى جناها، وخاصة في شهر رمضان، حيث تكون الأعمال ذات فضل وثواب وشرف مضاعف لفضل الزمان.

فصلاة الجماعة لا بد أن تسبق بإحسان الوضوء، ونية تحصيل الأجر وزيارة الله في بيته، وتعظيم أمره، والبدار في تلبية نداءه (حي على الصلاة)، والمسارة في سماع خطابه، والالتذاذ بمناجاته ولقائه.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (صلاة الرجل في جماعة تضعف صلواته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يُخرجه إلا الصلاة.. لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة، فإذا صلى.. لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يُحدِّث، تقول: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في الصلاة ما انتظر الصلاة).

ومن جنس هذا: الاستعداد لصلاة التراويح فإنها من أعظم العبادات في ليالي رمضان، ففي الصحيح أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه)، وقال (صلى الله عليه وسلم): (إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حُسِبَ له قيام الليلة)، ويشكو كثير من المواظبين على قيام الليل في رمضان من عدم لمسهم لثمرة هذه الصلاة، والحق أن هذه الصلاة المهمة كغيرها تحتاج إلى إعداد وتهيئة، فيلزم الراغب في الانتفاع من صلاة التراويح: إقلال الطعام للغاية، وإحسان الطهور، ولبس أحسن الثياب، والتبكير للصلاة، وقبيح جدا أن تفوته صلاة العشاء، فهذا دليل الحرمان وعدم الفقه في الدين، فإن صلاة العشاء في جماعة تعدل قيام نصف ليلة، فوق كونها فريضة، والله يقول في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بأحب إلي مما افترضته عليه)، ثم يستحضر القدوم على الله، والوفادة إليه، وانتهاز فرصة التعرض لرحمته ومغفرته والعنتق من النار، ويذهب إلى المسجد يدفعه الشوق والرغبة في الفضل، ويكدره الحياء من الله وخوف الرد والإعراض.

[٢] أما محاسبة النفس على الطاعات.. فهذا من أنفع الوظائف التي يقوم بها العابدون في شهر رمضان، والأصل أن المحاسبة وظيفة لازمة لسالك طريق الآخرة، ولكنها تتأكد وتزداد في هذا الشهر.

والمحاسبة تكون قبل العمل وأثناءه وبعده؛ أما قبله فب(الاستعداد له واستحضار ما قصر فيه قَبْلُ حتى يتلافاه)، وأثناءه ب(مراقبة العمل)، وبعده ب(النظر في وجوه الإصابة والتقصير). وهذه المحاسبة إذا واطب عليها المرء.. صارت مسلكا لا يحتاج إلى تكلف ومعالجة، وسيجد بعد هذه المحاسبة تزايدا في مقام الإحسان، ومثل هذه المحاسبة ينبغي أن تكون في الخفاء، يحاور نفسه وهواه ويعالج أيَّ قصور بلُوم نفسه وتقريرها وعقابها على كسلها وخمولها.

## القاعدة السابعة: (مطالعة أحكام الصوم وما يتعلق بشهر رمضان)

وهذا من أكد الواجبات، فمفتاح السعادة ومنشور الولاية مرهون بالعلم الصحيح النافع الممهّد للعمل الصالح، وليس ثمة عمل صالح دون علم نافع.

ولا بد من معرفة (شروط الصوم) و(أركانه) و(أعداره) و(مبطلاته) و(مباحاته) و(صلاة التراويح) و(الاعتكاف)، وعلى المرأة أن تتعلم أحكام الصوم في حق الحائض والمستحاضة والنفساء والحامل والمرضع.

ويجب تجنب التصدر للفتيا والتبرع بالإفادات حال كون الإنسان ليس من أهل هذا الشأن؛ فإنه مشأمة للنفس ومظلمة للغير.

ومما تتأكد مطالعته: ما يتعلق بفقهِ المعاملة مع الرب، وما ينبغي فعله في المواسم، وننصح بكتاب (لطائف المعارف لابن رجب).

## القاعدة الثامنة: (إعداد النفس لتذوق عبادة الصبر)

قال تعالى: (وما يلقاها إلا الذين صبروا)، بعض الناس تجعل من مواسم الطاعة مرتعًا لنيل اللذات بكل أنواعها، وهو مرتع وخيم على صاحبه؛ إذ به يخرج من الشهر كما دخل بل أفسد، وتزداد المسافة بينه وبين حقيقة قصد الآخرة، وتتكاثر غيوم الشهوات حائلة بينه وبين الوصول إلى الله.

وفي هذا الشهر أنواع الصبر الثلاثة: صبر عن المحارم، وصبر على الطاعات، وصبر على الأقدار المؤلمة.

- ❖ فلتصدر مرسوما على نفسك: أن تلزم جناب الحشمة في هذا الشهر أمام شهوة البطن وغيره.
- فإن أعلنت عليك التمرد.. فلا تتردد في: فرض الأحكام الاستثنائية، وإصدار قرار باعتقال هذه النفس الناشز، وإدخالها سجن الإرادة؛ حتى تنقاد لأوامرك إذا صدرت.
- فإن ازداد تمردا وتجرات في ثورتها.. فألهب ظهرها بسياط العزيمة، وعنفها على مخالفتها أمرك وعصيانها إرادتك.
- فإن أبت إلا الشرود.. فلوّح لها بحكم الإعدام وأنها ليست عليك بعزيزة.
- فإن تمنعت إدلالا وطمعا في عطفك.. فلا بد من تنفيذ حكم الإعدام في ميدان العشر الأواخر بحبسها في معتكف التهذيب؛ حتى تتلاشى تلك النفس المتمردة وتفنى، وتتولد نفس جديدة وادعة مطمئنة، تلين لك عند الطاعات إذا أمرتها، وتثور عليك عند ميلك للمعاصي.

## القاعدة التاسعة: (كيفية تحصيل حلاوة الطاعات)

قال ابن القيم -في مدارج السالكين-:

(والذوق: مباشرة الحاسة الظاهرة والباطنة للملائم والمنافر، ولا يختص ذلك بحاسة الفم في لغة القرآن، بل ولا في لغة العرب، قال الله تعالى: (وذوقوا عذاب الحريق)، وقال: (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)، وقال تعالى: (هذا فليذوقوه حميم وغساق)، وقال: (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)، فتأمل كيف جمع بين الذوق واللباس ليدل على مباشرة المذوق وإحاطته وشموله، فأفاد الإخبار عن إذاقته أنه واقع مباشر غير منتظر، فإن الخوف قد يتوقع ولا يباشر، وأفاد الإخبار عن لباسه أنه محيط شامل كاللباس للبدن، وفي الصحيح عنه (صلى الله عليه وسلم): (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) رسولا) فأخبر أن للإيمان طعماً وأن القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب، وقد عبر النبي (صلى الله عليه وسلم) عن إدراك حقيقة الإيمان والإحسان وحصوله للقلب ومباشرته له بالذوق تارة وبالطعام والشراب تارة وبوجود الحلاوة تارة، كما قال: (ذاق طعم الإيمان)، وقال: (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان...)، ولما نهاهم عن الوصال؛ قالوا: إنك تواصل، قال: (إني لست كهيتكم، إني أطعم وأسقى)، وفي لفظ: (إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني)، وفي لفظ: (إن لي مطعماً يطعمني وساقياً يسقيني)، وقد غلظ حجاب من ظن أن هذا طعام وشراب حسي للفم، ولو كان كما ظنه هذا الظان.. لما كان صائماً، فضلاً عن أن يكون مواصلاً، ولما صح جوابه بقوله إني لست كهيتكم، فأجاب بالفرق بينه وبينهم، ولو كان يأكل ويشرب بفيه الكريم حساً.. لكان الجواب أن يقول: وأنا لست أوواصل أيضاً، فلما أقرهم على قولهم إنك تواصل علم أنه (صلى الله عليه وسلم) كان يمسك عن الطعام والشراب، ويكتفي بذلك الطعام والشراب العالي الروحاني الذي يغني عن الطعام والشراب المشترك الحسي، وهذا الذوق هو الذي استدل به هرقل على صحة النبوة حيث قال لأبي سفيان: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه؟ فقال: لا، قال: وكذلك الإيمان إذا خالطت حلاوته بشاشة القلوب، والمقصود: أن ذوق حلاوة الإيمان والإحسان أمر يجده القلب تكون نسبتته إليه كنسبة ذوق حلاوة الطعام إلى الفم وذوق حلاوة الجماع إلى إلفه النفس، كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك)، فللإيمان طعم وحلاوة يتعلق

بهما ذوق ووجد، ولا تزول الشبه والشكوك عن القلب إلا إذا وصل العبد إلى هذه الحال، فباشر الإيمان قلبه حقيقة المباشرة، فيذوق طعمه ويجد حلاوته).

وتتحصل اللذة في الصوم من الشعور بالنسبة والالتذاذ بالخدمة، قال تعالى في الحديث القدسي: (الصوم لي وأنا أجزي به ...)، هذه هي (النسبة)، وقال: (ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي)، وهذه هي (حقيقة الالتذاذ بالخدمة).

وبينما هو يتألم ويتلوى من شدة الجوع يتوارد على فؤاده أن هذا الألم يصبر عليه؛ تعظيماً لحق الله، ومهابة لنظره وإطلاعه، فيرضى عن حاله، ويشبع من رضا الله عنه، ولا يطمع في أي نعمة تحول بينه وبين لذة هذا الألم.

لكنه سرعان ما يطأطئ منكسراً وجلاً خائفاً ألا يقبل الله منه، فيتصافر ألم البطون مع ألم القلوب، ويتعاضم هذا الألم حتى تتداركه عناية الله وإمداداته، فيفيض عليه من جميل لطفه وإنعامه، فيسكنُ هذان الألمان المتصافران وينقلبان حلاوة غامرة ولذة عامرة بل وشوقاً للقاء الله.. حتى تتم فرحته التي أخبر عنها النبي (صلى الله عليه وسلم): (وفرحة عند لقاء ربه).

وإذا تأملت هذه المعاني أدركت سر قوله (صلى الله عليه وسلم): (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع)، وقوله: (رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش).

وربما ضربت كفا على كف من اجتماع هذه المتناقضات: ألم ولذة، وجوع وشبع، وعطش ورِيٍّ، ولا يمنعك هذا العَجَب من ولوج هذا الطريق والسير فيه، فمن سلكه رأى من آيات ربه الكبرى.

## القاعدة العاشرة: (إحياء الطاعات المهجورة والعبادات الغائبة)

اعتاد الناس عباداتٍ معينة ظنوها هي وحدها الأبواب المفتوحة إلى الله، لكن ينبغي أن يكون الساعي في مرضات ربه بحاثًا عن المسالك المهجورة التي تنكبت عنها إرادات الناس؛ كسلا أو عجزا.

فمن تلك الطاعات التي غفل عنها الناس ولم نعد نجد من يحافظ عليها إلا القليل:

(١) الاستغفار بالأسحار، قال تعالى: (والمستغفرين بالأسحار)، وقال: (وبالأسحار هم يستغفرون)، والسَّحَر: آخر الليل، وهو وقت السُّحُور، لذا استُحِبَّ أن يَطْعَمَ مريد الصوم في هذا الوقت.

(٢) (التفكر) في الآيات الكونية، قال تعالى: (... ويتفكرون في خلق السموات والأرض ...)، وهذه العبادة هي أصل طريق اليقين، وبها يثبت وجود الرب وربوبيته وألوهيته، وبهذا التقرير خاطب الله - عز وجل - المشركين مطالبًا إياهم بأن يتفكروا في هذه الحقائق، قال تعالى: (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا)، وهذه العبادة من أعظم ما يقرب الإنسان من ربه ويوقفه على جلاله وعظمته، بل هي العلم الذي أشار الله - عز وجل - إليه باعتباره موصلا لخشية الله، قال تعالى: (... إنما يخشى الله من عباده العلماء).

(٣) التبتل والانقطاع إلى الله، قال تعالى: (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتلا)، والتبتل: الانقطاع، وسميت (مَرِيْمَ) البْتُولَ؛ لانقطاعها عن الأزواج وعن أن يكون لها نظراء من نساء زمانها، ومثل هذه العبادة تلازم الإنسان في كل زمان ومكان لا تنفك عنه، فهو مع الناس بجسمه ومع الله بروحه.

(٤) الصدقة والإنفاق، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: (كان النبي (صلى الله عليه وسلم) أجودَ الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فلرسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين يلقاه جبريل أجودُ بالخير من الريح المرسلة)، قال الشافعي: (أُحِبُّ للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان؛ اقتداء برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحتهم، وتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم)، وليس المقصود كثرة المُنفَق، بل كثرة الإنفاق.

(٥) تحديث النفس بالغزو والجهاد، وخاصة في هذا الشهر شهر المعارك الكبرى -كبدر وفتح مكة وغيرهما-، بل إن ظاهر الحديث يدل على أن هذه الطاعة واجبة لا يجوز الانفكاك عنها، قال

(صلى الله عليه وسلم): (من مات ولم يَغزُ ولم يُحَدِّثْ نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق)،  
وفائدة تحديث النفس بالغزو: إحياء معاني الجهاد والعزة والولاء والنصرة للدين والبراءة من الكفر  
والشرك ومعاداة أهله، والوصول بالنفس إلى أعلى مراتب البذل - وهو بذل الأرواح والمُهَجِ في  
سبيل الله-.

فهذه بعض نماذج من العبادات المهجورة الغائبة، ولو تأملت قوله (صلى الله عليه وسلم):  
(الإيمان بضع وستون شعبة...).. لعرفت كم ضيع الناس من شعب الإيمان وطرق الخير الموصلة  
لرضا الرب -تبارك وتعالى-!



## القاعدة الحادية عشرة: (معرفة قطع الطريق إلى الله)

من قطاع الطريق إلى الله:

(١) الفتور والسامة والملل من أعظم ما يعتري السالكين، وقد يتعاضم أمره ويستفحل حتى يكون سببا للردة والنكوص والعياذ بالله، وغالب وقوع هذه العوارض من كثرة الفرح بالطاعة، وعدم الشكر عليها ورؤية منة الله فيها، ومشاهدة النفس في أدائها، فحري بمن ملَّ العبادة أن يعود إلى نفسه هلعا وخوفا من أن يكون ذلك من إعراض الله عنه، وليستحضر في قلبه سوء أدبه مع الله وعدم تعظيمه وقدره حق قدره؛ إذ تطيب نفسه مع شهوات الدنيا ومعافسة الأولاد والزوجات للساعات الطوال، ثم هو يتلى في عبادته بالملل بعد لوحظات معدودات!

(٢) الوسواس والخواطر الرديئة التي تردُّ على السالك طريق الآخرة، وهذه الخواطر يمكن

تقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: خواطر الشبهات، وعلاجها باستحضار (اليقين).

النوع الثاني: خواطر الشهوات، وعلاجها بأمور:

(١) التبرؤ من حول النفس وقوتها، والاستعاذة بالله، ومن جليل ما ينبغي تردادده في حق المبتلى بالشهوة: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، ومعناها: لا تحول عن معصية إلا بمعونة من الله، ولا قوة على طاعة إلا بتوفيق من الله.

(٢) تذكر المنغصات: سكرات الموت، نزع الروح، القبر وأهواله، سؤال الملكين، البعث والنشور، أهوال يوم القيامة، المثول بين يدي الله عاصيا مذنبا، النار وأهوالها.

(٣) تذكر المشوّقات: لذة المناجاة، توفيق الله للطاعة، شرف الولاية والانتساب إلى حزب الله، الكرامات اللائقة لأوليائه عند موتهم، دخولهم الجنة وما فيها من النعيم المقيم، رؤية الله - عز وجل - يوم القيامة ورضوانه عن أهل الجنة.

(٤) تذكر جمال خالق الجمال البشري، الذي سماه الرسول (صلى الله عليه وسلم) جميلا، فكل جمال فُتِنَ به المرء لو قُرِنَ بجمال الله - عز وجل -.. لتلاشت كل خواطره الرديئة.

(٥) تذكر مثالب الصور المعشوقة وآفات وأمرضها وفساد بواطنها وظواهرها.

(٦) البعد عن المثيرات: السير في الطرقات العامة - وخاصة في هذه الأزمنة وفي أماكن الفجور والفسوق -، مشاهدة التلفاز والفيديو والمجلات والجرائد الساقطة التي تهدف إلى غواية النفوس

المطمئنة وتحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ومن هذا القبيل: عدم المكوث في خلوة إذا طرأ عارض الشهوة، بل يشتغل بالصوارف التي تلهيه عن تلك الخواطر؛ كذكر الله، وزيارة الصالحين، وحضور مجالس العلم، وخدمة الأهل والمسلمين.

النوع الثالث: خواطر القلب من الآفات والأمراض النفسية؛ كالكبرياء والعجب والحقد والحسد، وعلاجها برؤية عجز النفس وقيامها بالله، ومشاهدة حكمة الله -عز وجل- وتصرفه في الخلق، فمثل هذا الاستحضار يحول بينه وبين الاعتراض على تقسيم الرزق والنعم، ويحول بينه وبين رؤية النفس وقدرتها، ويؤول به الحال إلى التسليم بمنة الله وعدله وحكمته.

يقول ابن القيم: (واعلم أن الخطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر، فيأخذ الفكر فيؤديها إلى التذكر، فيؤديها إلى الإرادة، فتأخذها الإرادة إلى الجوارح والعمل، فتستحكم فتصير عادة، فردّها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوتها وتامها).